بسم الله الرحمن الرحيم

[تفريغ المجلس ١٨]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا- أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

[شرح تتمة الحديث الثالث عشر]

كنا انتهينا في آخر مجلس عند الحديث الثاني عشر من الأربعين النووية، وهو قول النبي ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) الحديث الثالث عشر، حديث أبي هريرة ﷺ، ورحنا نصفه الأول، (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه) وبقي الكلام على آخر الحديث وهو (ما يحب لنفسه).

[تصويبٌ في نطق الحديث]

فقط ننبه على أن كلمة (يحب) هنا تكررت (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، فالأولى منصوبة، والثانية مرفوعة، ويخطئ كثير من الطلبة عند حفظ الحديث فلا يقرؤونها سليمة، إما يقرؤون بنصب الفعلين، أو برفعهما أو رفع الأول ونصب الثاني والصواب نصب الأول ورفع الثاني، (لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ) حتى هذه ناصبة، (حتى) هذه الفعل المضارع إذا جاء بعدها وكان مضارعا دالا على الاستقبال، وكان الفعل الذي بعدها مستقبلا لما قبلها، فإنها تنصب مضارعها، (لا يؤمن أحدكم حتى حبَّ)، (ما يحبُّ لنفسه) فعل مضارع، الثاني فعل مضارع والأصل في المضارع أن يرفع لتجرده من الناصب والجازم.

إذن قال النبي ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، (ما) هذه موصولة، أي: حتى يحب لأخيه الذي يحب لنفسه، الشيء الذي يحبه لنفسه، وقلنا جاء في رواية عند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (لا

يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير)، فإذن المحبة التي تحبها لنفسك من الخير لا تبلغ حقيقة الإيمان حتى تحبها لأخيك أيضا.

[منطوق الحديث ومفهومه]

ويُفهم من الحديث أنه: لا يؤمن أحدكم حتى يكره لأخيه ما يكره لنفسه من الشر، فهذا يُفهم من الحديث، فالمعنى الأول يؤخذ من الحديث نطقا، والثاني يؤخذ من الحديث مفهوما، وهو ما يسمى بـ: مفهوم المخالفة، فالمنطوق هو ما يدل عليه الحديث في محل النطق، فنطق الحديث يدل على أنك لا تؤمن حتى تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وأما المفهوم فهو دلالة اللفظ في غير محل النطق، دلالة اللفظ على معنى ليس هو الذي ينطق به، وإنما في غير النطق، فالحديث دل على بلوغ الإيمان وتحقيق الإيمان، أو من شروطه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وفهم منه أنه كذلك لا يؤمن حتى يكره لأخيه ما يكره لنفسه أيضا من الشر، إذن (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) أي من الخير، هذا مما يلزم.

[حب الخير للغير دينا ودنيا]

وقلنا إن هذا يعد من الواجبات، فنفي هنا الإيمان نفي كمال الإيمان الواجب، كما ذكر غير واحد من أهل العلم، وهذه المحبة للشيء يكون من الخير، والمراد بالخير هو الخير الذي يُقرّ عليه شرعا أنه خير، يعني مما يعد من الأمور الشرعية الدينية، وأيضا ما يدخل تحت الأمور الدنيوية، فهذا مما يجب على المسلم، فالتقييد بالخير هنا مما يرضاه الله ﷻ ومما يرضاه الشرع، لأن بعض النفوس المنكوسة والمتنجسة بالأفعال الشنيعة تحب بعض الأمور المحرمة، تحب من الحرام ما تحب، فهل يقال: من تمام إيمانه أن يحب لإخوانه ما يحب لنفسه؟ ليس هذا هو المقصود، فالخيرية هنا المراد بها ما يقبل شرعها، سواء كان من الأمور الدينية، أو كان من الأمور الدنيوية المأذون فيها والمشروعة، والتي هي حلال، والجائزة والمباحة، والمباحة يحب لنفسه السكن الواسع، ويحب ذلك لإخوانه، يحب لنفسه المركب الهنيء يحب ذلك لإخوانه، يحب لنفسه الثراء يعينه على طاعة الله ﷻ يحب ذلك لإخوانه، يحب لنفسه البهاء والثوب الجميل يحب ذلك لإخوانه، يحب لنفسه المنزلة الرفيعة والقدر العالي والسمعة الطيبة فيحب ذلك

لإخوانه، يحب أن يُتكلم فيه بالخير، يحب ذلك أيضا لإخوانه، ومثل ذلك التوسع في الأمور المشروعة التي تعد من الأمور المباحة، فهذا أيضا داخل في الحديث.

وهل يعارض هذا أن يحب لإخوانه مثل ما يحب لنفسه، أو الذي ينبغي أن يحب لإخوانه أن يكونوا أكثر مما يحب لنفسه، قال ﷺ (لا يجتمع الكبر والإيمان) قال الرجل: يا رسول الله أحدنا يحب أن يكون ثوبه جميلا، ونعله جميلا، فقال (ليس ذلك الكبر، الكبر بطر الحق وغمط الناس)[1] فنهى النبي ﷺ عن الكبر وحرّمه، وقال إن التكبر على الناس يعارض الإيمان، ولا يجتمع في قلب الإنسان مع الإيمان، فظن الرجل أن الذي يحب أن يكون على أحسن حال ثيابا وجمالا ونعلا إذن يترفع على إخوانه! أو يعد متكبرا! لأنه يحب أن يكون على أحسن حال، وأجمل ما يكون، فقال ﷺ ليس هذا الكبر، لكن الكبر هو بطر الحق ردّه، هذه هي حقيقة المتكبر، المتكبر الذي يرد الحق، يبين له الحق فيرده، وغمط الناس أي احتقارهم وازدراؤهم، هذه هي حقيقة الكبر، أن يزدري الناس ويحتقرهم ويراهم لا شيء، ويراهم كالعدم، ويراهم لا يبلغون شيئا بالمقارنة معه، فهو الذي يعني يحسن والقمة في كل شيء، ومهما كان فلان وفلان فعنده لا يقارن ولا يدركه وغير ذلك، وأن يرد الحق، إذا جاءه الحق رده، فهذه حقيقة الكبر، وهذا هو التكبر.

الشاهد قال (**يحب أحدنا أن يكون ثوبه جميلا ونعله جميلا**) فهذا غير ممنوع شرعا، يحب أن يكون على غاية من الجمال في ثوبه ونعله وهندامه، وفي هيئته فهذا غير ممنوع شرعا، وكذلك غير ممنوع أن يحب أن يكون إخوانه مثله، هذا مما يجب، وهو الداخل في الحديث، لا يحب أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فكونك تحب لأخيك ما تحب لنفسك أي مثلما تحب لنفسك هذا داخل في الحديث قطعا، ويجب أن يكونه، فيحرم أن تحب له وأن يكون دونك.

[من أحب أن يكون إخوانه أفضل منه]

وهل يدخل في ذلك أن تحب له ان يكون فوقك؟ وليس دونك؟ هل هو داخل في الحديث أو لا؟ وهل إذا كنت تحب أن يكون مثلك تكون وقعت في مخالفة الحديث؟ يقول العلماء: إنه مما ينبغي للمسلم أن يحب لإخوانه أن يكونوا فوقه وأكثر منه، وإن كان ذلك كما قال بعض العلماء: ذلك ليس على سبيل

[1] صحيح مسلم (91)

الوجوب، لكن هذه مرتبة عالية ومرتبة سامية أن تحب أن يكون إخوانك فوقك، ولهذا قال بعض السلف (**من أحب أن يكون إخوانه مثله فما نصح، فكيف أن يكونوا دونه**) يعني الذي يحب أن يكون إخوانه مثله يساوونه في الجاه، أو في العلم أو في المال، أو في البهاء، أو السلطان، أو الأمن، أو الطمأنينة والراحة، وسعة البيت، وهناء المركب، استتباب الحال، وغير ذلك، إذا كان يحب أن يكون هؤلاء مثله، قال هذا الإمام وهذا العالم (**فما نصح**)، لم ينصحهم حقيقة النصح، فكيف إذا كان يريد أن يكونوا دائما دونه، أقل منه مرتبة، إذن الواجب أن يحب أن يكونوا مثله، وأفضل منه أن يكونوا أرفع منه، وعلى قول العالم هذا أنه لا يكون ناصحا إذا أراد أن يكونوا مثله، لأن النبي ﷺ قال (الدين النصيحة) وهذه النصيحة تكون لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ومن تمام النصيحة التي تدل على الخلوص والصفاء، من تمامها أن تنصح لإخوانك أن يبلغوا المراتب العالية في جميع الشؤون، وبالتالي فهذا أقرب ما يكون في أن تحب لهم أن يكونوا فوقك، وتحب لهم المكانة العالية، فهذا الذي ينبغي للمسلم أن يكون عليه.

[هل يصح الإيثار في مجال التنافس]

فإن قال قائل: فهل يحب أن يكون فوقهم في مجال التنافس؟ مثل مسابقة علمية، تؤخذ فيها جوائز مالية، فهل يحب لهم أن يكونوا فوقه، أو كتب علمية تؤخذ فيها ونحو هذا، هل يحب أن يكونوا فوقه؟ أو يحب أن يكونوا مثله؟ أو دونه؟ ها هنا يقول الله ﷻ {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}المطففين٢٦، التنافس ها هنا في الخيرات، بمعنى أن يبذل جهده، في نيل هذا الخير، ويتمنى غاية التمني أن يكون هو أولى به، وأوفر حظا، والصحابة كانوا كذلك، فلما قال النبي ﷺ عام خيبر، قال (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)[1]، فكيف بات المسلمون؟ كل واحد بات يتمنى أن يكون هو، لأنها شهادة عظيمة، شهادة من النبي ﷺ على أن هذا الذي يعطى الراية، دعواه لمحبة الله ورسوله ﷺ دعوى حق، لأن الدعوى كلٌّ يدعيها، الدعاوى من غير مقابل، ما فيها تكلفة، الدعوى لا تكلفة فيها، قال: أنا أحب الله ورسوله، أنا أتقي الله، أنا إنسان صالح، أنا إنسان أمين، أنا لا أخدع، لا أخون، أنا صريح، أنا كذا ... هذه الدعاوى سهلة من غير مقابل:

[1] أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (٨٤٠٣)، وأحمد(23031)

وكلٌّ يدعي وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاك**

كل واحد يدعي ما يشاء، لكن حقيقة الدعوى هل هي موافقة للواقع أو لا؟ فقال ﷺ (يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)، إذن شهادة من النبي ﷺ بأن هذه دعوى حق، والصحابة كلهم في دعواهم محقون ﷺ أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ، وأيضا شهادة لهذا الرجل أن الله ورسوله يحبانه، فمن الذي لا يريد مثل هذه الشهادة، فأصبح كلٌّ يتمنى، حتى قال عمر ﷺ في بعض ما روي وما جاءت به الآثار **(ما تمنيت الإمارة إلا حينها)** ما طمع فيها وما أحبها ولا أحب أن يعطاها إلا في ذلك، لأن عمر ﷺ كان يخرج من قبل في الغزوات، وكانت السرية والغزوة يتأمر عليها غير عمر ﷺ ، لكن في ذلك الخروج أحب أن يكون، ليس لأن يكون أميرا يتأمر ويتسلط على الناس، ويتولى إمرتهم، وإنما لهذه الشهادة العظيمة التي شهد بها النبي ﷺ ، ففي مثل هذا الحال هل له أن يرغب في ذلك وأن يطلبها؟ نعم لأنها من باب التنافس، ولكن في نفس الوقت يحب لإخوانه المرتبة العالية ولا تعارض، فهو في جلّه يطلب الغالي، ويبذل النفيس، لتحقيقه، وأن يكون هو الأولى به وهو الذي يظفر به، ولكن هذا لا يعارض ما يتعلق بقلبه: أن يحب لأخيه أن يكون هو صاحب هذه المرتبة العالية، فيحصل بنيته وبقلبه من الأجر والثواب الشيء العظيم، ولهذا قال تعالى {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}المطففين٢٦.

[معنى قوله ﷻ {وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ}]

أما قوله ﷻ {وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ}النساء٣٢، هذا في التمني، حقيقته أنه لا يجوز للمرأة أن تتمنى أن تكون رجلا، أو الرجل أن يكون امرأة، أو ما خُصّ به النساء لا يتمناه الرجال، أو ما خص به الرجال لا يتمناه النساء.

قال بعض العلماء: وهذا أيضا يشمل أن يتمنى الإنسان ما عند غيره، وأنه منهي عنه، لكن هذا مقيد في أنه إذا كان في باب الخير فإنه جائز، لحديث النبي ﷺ (إنما الدنيا لأربع رجل آتاه الله مالا فهو يقضي به وينفقه في الحق، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا، فهو يقول لو أن لي مال فلان لفعلت مثلما فعل، فهما في الأجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو ينفقه في غير حق، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فقال: لو أن لي مال فلان لفعلت مثلما فعل) يعني في النفقة بغير حق (فهما في الوزر سواء)[1]،

[1] أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٨)، وأحمد(18024) ، قال الألباني في صحيح الترغيب (١٦) صحيح لغيره.

ويقول ﷺ فيما رواه مسلم عن أبي هريرة (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار ويعمل به فسمعه جاره فقال ليتني أوتيت مثلما أوتي فأعمل مثلما عمل، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق، فقال الرجل ليتني أوتيت مثلما أوتي فأعمل مثلما عمل)[1] فالتمني في الخير لا بأس به، وفيه يدخل {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}المطففين٢٦.

والمسلم والمؤمن يتمنى لإخوانه أن يكونوا فوقه، ليس فقط مثله، ولا يحق له أن يتمنى أن يكونوا دونه، أما التنافس في الخيرات فيتنافس فيها، والإذن في ذلك من عند الله ﷻ {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}المطففين٢٦، {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ}آل عمران١٣٣، {فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ}البقرة١٤٨، فالمسابقة والمسارعة والتنافس في الخير مأذون فيه ومشروع، وقد قال النبي ﷺ مبشرا هذه الأمة أنه يدخل منها سبعون ألفا الجنة بغير حساب ولا عذاب، فأصبح الصحابة يتناقشون تلك الليلة منهم؟ الذين ولدوا في الإسلام؟ الذين لم يشركوا؟ الذين ما اقترفوا السيئات؟ الذين كذا ... ؟ فخرج النبي ﷺ وقال (هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون، ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون) فالسبعون ألفا هذه ومع كل ألف ألفا، هؤلاء عددهم، يدخلون الجنة بغير حساب، فكلٌّ ينافس ويسارع في ذلك، لكن لا يدعو أن يكون ولا يتمنى أو يحب أن يكون غيره ليس داخلا، أو دونه، بل يتمنى لهم أن يكونوا مثله، بل أن يكونوا أفضل منه، فهذا معنى قوله (حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

ومثل ذلك في العلم، فلا يتمنى أن يكون غيره دونه في العلم، بل يتمنى أن يكونوا مثله، وأفضل من ذلك أن يكونوا أرفع منه، فهذا من المراتب العالية، ومن حقيقة الإيمان.

إذا كان في مسابقات الطلبة في المدارس، والمسابقة على مرتبة واحدة يأخذها واحد دون غيره، يعني إذا تمنى أن يكون غيره في المرتبة الأولى يعني هو لا يأخذها! فهل هذا يشرع؟ نعم وهو الأفضل وهي المرتبة العالية والقدر العالي، أن يتمنى لهم أن يكونوا فوقا، وهذا لا يمنعه من أن يتنافس غاية التنافس ولهذا قال ﷺ (ولينظر أحدكم إلى من هو أسفل منه)[2] الإنسان في أمور الدين ينظر إلى من هو فوقه، في أمور الدنيا انظر إلى من دونك، ما من إنسان إلا ويجد من هو دونه رتبة في أمور الدنيا في المال والجاه

[1] نحو هذا اللفظ أخرجه البخاري (5026)
[2] أخرجه البخاري (٦٤٩٠) واللفظ له، ومسلم(2963)

والسلطان، وتوفر مرافق الدنيا ووجود مرافق الدنيا، أحيانا يصيب الإنسان شيء مما فاته من أمور يريد تحقيقها، فلينظر إلى من دونه، كثير من الناس، فلربما هو متزوج وغيره غير متزوج، ولربما هو أنجب أولادا وغيره لم ينجب، لربما هو له سكن غيره ليس له سكن، لربما هو وُفِّق لأن يؤجّر سكنا لكن غيره في بناء فوضوي، لربما هو عنده بناء فوضوي غيره ليس له سكن أصلا، مرة يبيت في الحمام، ومرة في الطريق، ومرة يعزم نفسه دون أن يُدعى، وهكذا ... ففي أمور الدنيا تنظر إلى من تحتك، فإذا نظر إلى من هو تحته في المرتبة كان ذلك أدعى لطمأنينة نفسه، وارتياح حاله وباله، فيرتاح، يرى نفسه في أمور الدنيا على مرتبة طيبة، لأنه يرى أن هناك من دونه.

أما أمور الدين فدائما ينظر إلى الأعلى، دائما ينظر إلى المرتبة العليا، فلا ينظرن أحدكم في أمور الدنيا إلا إلى من دونه، ولينظر في أمور الدين والآخرة إلى من فوقه، وهذا يكون أدعى له في التنافس والزيادة في الخيرات، يعني انظر إلى الذي حفظ القرآن، فتقول أنا لست حافظا، وُفقت وحفظت القرآن، طيب انظر إلى فلان يحفظ تفسير الكلمات وأنا لا أحفظ، حفظتها؟ فلان يحفظ الأربعين وأنا غير حافظ، تحفظ الأربعين؟ وآخر حفظ العمدة وأنا لست حافظا، فإذا حفظت قل: الآخر يحفظ البلوغ، وذاك صحيح البخاري، وآخر صحيح مسلم.

فلان معروف بالصدقة وأنا لا أتصدق، تصدقتَ! لكن فلان صدقته كلّ يوم صباح مساء، تتصدق صباح مساء! لكن فلان صدقته أكثر، فلان يصوم صيام داوود الآخر يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، تصوم ثلاثة أيام من كل شهر؟ لكن الآخر يصوم كل إثنين وخميس، فأنت تريد أن تلحق به، لحقت به! فلان لا يفوته موسم من المواسم، عاشوراء، أو عرفة، أو الأيام البيض، الإثنين، الخميس، شوال ... وأنت مع المواسم فقط، فتجتهد في أن تبلغ مرتبته، ومثل ذلك في العمرة، وفي الحج، وفي الكلام الطيب، والبشاشة مع الناس، والانبساط لهم، وحسن الخلق، وحسن المعاملة، وحسن الجوار، وحسن الضيافة، وخفض الجناح واللين مع الإخوان، وبر الوالدين، وحسن المعاملة ... الخ.

وحتى إذا رأى الإنسان من نفسه أنه بلغ مرتبة، فدائما ينظر إلى نفسه نظرة تقصير في جنب الله ﷻ، وينظر إلى من هو أعلى منه، وأنت دائما إذا نظرت في الناس وجدت من هو أفضل منك، حتى ولو لم تجده أفضل منك في الصورة المطلقة، فإنك تجده يتقدم عليك في ناحية من النواحي، فاطلب أن تكون

مثله، وأن ترقى إلى تلك الدرجة وما هو أكثر، ودائما تتمنى لإخوانك أن يكونوا أفضل، ولهذا كان هذا الحديث بما تضمنه من المعاني يعدّ من القواعد العظيمة لهذا الدين.

ولو أن الإنسان ملأ قلبه بمثل هذا، لكان له هناء في المعيشة عظيم جدا، لأن هذا قلب سليم، الذي يرى هذه ويعتقد مثل هذا فلاشك في سلامة قلبه، وبالتالي يعيش هنيا، سليم الصدر، ويأمن كثيرا من المشاكل، ولهذا قيل لبعض السلف فيما بلغه من المراتب العالية، ما سبب ذلك؟ قال سلامة الصدر، وروي في الحديث أن النبي ﷺ قال (يدخل عليكم رجل من أهل الجنة) فنظروا فإذا هو عبد الله بن سلام اليهودي، كان أهل اليمن أسلموا، وشهد له النبي ﷺ بالجنة، رجل يمشي على الأرض من أهل الجنة، فقالوا له: لم؟ قال: ما أجد عملا هو أرجى عندي عند الله ﷻ من أني أنام وأنا سليم الصدر للناس، صدره سليم للناس، لا يكنّ بغضا، ولا حقدا، ولا كراهية، ولا حسدا، ولا تحاملا، ولا ضغينة، ولا انتقام، ولا حرصا على زوال نعمة من شخص وإنسان معين، ... وغير هذا، وإنما ينام سليم الصدر لجميع المسلمين ولجميع المؤمنين.

فلهذا كان هذا الحديث أصلا عظيما، وقاعدة من قواعد الدين العظيمة، كما قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة كتابه هذا الذي جمع فيه هذه الأحاديث الأربعين التي هي من قواعد الدين حقيقة، وهذه الرابطة الإيمانية التي تجمع بين الإخوة المؤمنين من أقوى الروابط كما ذكرت في الدرس الماضي، وأروع من ضرب لهذا مثلا وجسّده على أرض الواقع هم الصحابة الكرام، ولهذا ينبغي للمسلم أن يقرأ سيرتهم فإنه يجد فيها الشيء العظيم، ذكروا أنه في غزوة من الغزوات جيء إلى الرجل بعد أن انتهوا من الغزوة، جاؤوا إلى الجرحى يسقونهم، فإذا برجل جريح أثخنته الجراح، فجيء إليه ليسقى فجاء ليشرب فإذا بالجريح الآخر أمامه، قال: اسقه فهو أشد مني حاجة، فذهبوا ليسقوه، فجاء ليشرب فإذا بثالث أيضا يثلب دما جريحا، فقال: اسقوه، فجاءوا ليسقوا الثالث ما إن لحقوا إلى حتى مات، فرجعوا إلى الثاني فوجدوه قد مات، فرجعوا إلى الأول فإذا به أيضا قد مات رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ، هؤلاء ضربوا أفضل وخير الأمثلة.

الأنصار مع المهاجرين، يتنازل الأنصاري عن نصف ماله، ويقول للمهاجري: اختر ما شئت من النساء، أطلقها فتعتد ثم تتزوج بها، بلغ بهم الإيمان هذا المبلغ، وهو مبلغ عظيم جدا.

ونقل في الأثر عن ابن عباس، ونقل أيضا عن الشافعي -كل منهما قاله- **(إني لأظفر بالفائدة)** -أي علمية ليست مالية- **(فأود أن أطير في الدنيا فأبلغها كل الناس)** أو نحو ها الكلام، يعني من خلال مراجعاته العلمية قد يظفر بالفائدة، الإنسان إذا كان يقرأ في كتاب يظفر بفوائد عظيمة جدا، اعتقادية، حديثية، أصولية، نحوية، أدبية، بلاغية، تفسيرية، خلقية، تاريخية، فوائد كثيرة جدا، فيقول إنه ليود أن تصل إلى جميع الناس يدركها جميع الناس، ويعرفونها، فهذا يدل على أنه حريص على تطبيق هذا الحديث، ومن أشد الناس تطبيقا لهذا الحديث، يحب أن العلم الذي حصّله، في اللحظة التي حصله فيها، أن يصل إلى جميع ربوع الأرض، فيبلغ الناس ذلك العلم الذي حصله.

وذكر لنا بعض مشايخنا -كنا في مجلس - فقال إنه كان في خلال دراسته وفي بداية طلبه للعلم، كان إذا درس وحصّل شيئا من العلم في باب من الأبواب يود أن يرجع ويسافر إلى بلده في يومه ذلك، ليعلم الناس ومن هم قريبون منه ما حصّله وما تعلّمه ثم يرجع لتحصيل وطلب العلم، فكان إذا حصّل شيئا يتمنى أن يرجع ويعود إلى بلده فيعلّم ثم يرجع ويتم تعلّمه، وهذا لا شك ولا ريب يدل على سلامة الصدر، وأن يكون المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وشأن أهل العلم دائما ولابد أن يكون هكذا، أن يحب المؤمن دائما لإخوانه مثلما يحب لنفسه بل فوق ذلك، فهذه مرتبة عظيمة وعالية ينبغي للمسلم أن يكون عليها.

الحديث يدل على جملة من الفوائد:

١= ومنها أن الإيمان مراتب ودرجات، ولا شك أن الإيمان قول وعمل، وهو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان، وهذه يتفاوت فيها الناس، فيتفاوت الإيمان، فمن حقق شيئا من هذه المراتب زاد إيمانه، ومن ضيعها نقص إيمانه فالإيمان مراتب.

٢= والإيمان يزيد وينقص، وزيادة الإيمان تكون بالطاعة، ومن الطاعات ما هو قلبي، كما هناك ما هو عملي وقولي. ويدل الحديث على نقصان الإيمان لأنه قال (حتى يحب لأخيه) فإذا أحب لأخيه ما أحب لنفسه زاد إيمانه، وإذا تمكن من هذه الخصلة تمكن إيمانه، وإن كان في الحقيقة هذا واجب، فإن لم يفعلها نقص إيمانه، فهذا يدل على أن الإيمان أيضا ينقص.

٤= ومن فوائد الحديث أن نقصان الإيمان لا يكفر به الإنسان، خلافا لما عليه أهل البدع كالمرجئة والخوارج والمعتزلة وغيرهم لأنهم يرون أن الإيمان شيئا واحدا كلًّا متكاملا لا يتجزأ، وهذا غير صحيح، فنقصان الإيمان لا يكفر به صاحبه، وهل ينقص الإيمان حتى لا يبقى منه شيء؟ قد يكون ذلك، وقد قال به غير واحد من أهل العلم، ذكره إسحاق بن راهويه، ونقل عن سفيان بن عيينة، وذكره بن منده، وذكره معظم العلماء أيضا، ذكروا أن الإيمان ينقص، وقد ينقص حتى لا يبقى منه شيء، فنقصان الإيمان أي ذهاب بعضه، وجزء من جزئه ويبقى مع ذلك شيء من الإيمان، لكن قد ينقص نقصانا تاما كاملا بمعنى يكفر ويخرج، وهذا النقصان يختلف.

وما يراه أهل السنة والجماعة غير ما يراه الخوارج والمعتزلة والمرجئة، فإذن الإيمان ينقص، ونقصانه لا يعني بالضرورة الكفر، فقد يزول شيء منه ويبقى شيء من الإيمان.

٥= ويدل الحديث أيضا على أن محبة المؤمن لأخيه المؤمن من الإيمان الواجب، لأنه لا يُنفى الإيمان إلا على من ترك الواجب.

٦= ومن فوائد الحديث أن الطاعات تزيد الإيمان.

٧= وأيضا من فوائد الحديث تقييده بالأدلة الشرعية العامة (حتى يحب أخيه ما يحب لنفسه) يعني لو لم ترد الزيادة (من الخير) فيقيّد بالأدلة الشرعية، لأن النفس الشريرة تحب القتل، تحب الزنا، تحرب الخمر، تحب السرقة، من الناس من نفسه منتكسة، متنجسة، يرى راحته في الحرام، فهل نقول: أنت لا تؤمن حتى تحب لإخوانك مثلما تحب لنفسك من الحرام، فهذا يقيّد بالأدلة العامة، الأدلة الشرعية العامة.

٨= ومن فوائد الحديث كونه قاعدة عظيمة من قواعد هذا الدين.

والله أعلم.